

كان خُلِّقهُ القرآن إبراهيم يحيى أبو ليلى



بسم الله الرحمن الرحيم....
حقيقته كم ترددت في كتابة مقال مثل هذا وقلت في نفسي ولنفسي من تكون أنت وماذا يكون قلمك حتى تكتب عن سيد الخلق وحبیب الحق □ فكم وقف المادحون وناظمي الشعر أمامه لا يحيرون جواباً عن تساؤلات النفس وأحسبهم انهم قد أصابهم ما أصابني ولكن لم يجدوا بدأ في أن يتشرفوا بما قالوه عنه ومهما قيل فيه فهو أكبر وارقي من ذلك □ ولقد صدق الشاعر حين قال....

فإذا مدحتُ محمداً بقصيدتي فلقد مدحتُ قصيدتي بمحمدٍ

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه عندما أعطته قريش بعض المال ليهجو رسول الله □ وذلك قبل إسلامه فلما رأى المصطفى □ رجع إليهم ورد لهم ما أعطوه فلما سألوه عن السبب قال :-

لَمَّا نَظَرْتُ إِلَى أُنْوَارِهِ سَطَعَتْ وَوَضَعْتُ مِنْ خَيْفَةٍ كَفِّيَ عَلَى بَصْرِي

خَوْفاً عَلَى بَصْرِي مِنْ حُسْنِ صُورَتِهِ فَلَسْتُ أَنْظُرَهُ إِلَّا عَلَى قَدْرِي....

عندما سُئِلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها عن رسول الله □ قالت (كان خلقه القرآن) نعم كان خلقه القرآن وكفى كلمات قليلة المبني لكنها كثيرة وكبيرة المعنى وهل بعد خلق القرآن خلق وهل بعد مدح الله مدح... يقول شوقي:-

يَا مَنْ لَهُ الْأَخْلَاقُ مَا تَهْوَى الْعُلَا
مِنهَا وَمَا يَتَعَسَّقُ الْكُبْرَاءُ

لَوْ لَمْ تُقَمِ دِينًا لَقَامَتْ وَحَدَّهَا
دِينًا تُضِيءُ بِنُورِهِ الْأَنَاءُ

* بهذا الوصف نظم المادحون شعرهم وحول هذه الكلمات يدور كل من أراد أن يصف ويمدح رسول الله □ يقول شوقي رحمه الله تعالى..

المادحون وأرباب الهوى تبع
لصاحب البردة الفيحاء ذي القدم

مديحه فيك حبّ خالص وهوى
ومصدق الحبّ يملي صادق الكلم

* من الذي قال ان احمد شوقي قد غالى في مدحه □ أليس هو الذي قال :-

أَبَا الرَّهْرَاءِ قَدْ جَاوَزْتُ قَدْرِي
بِمَدْحِكَ بَيْدَ أَنْ لِي إِنْ سَابَا

فَمَا عَزَفَ الْبَلَاغَةَ ذُو بَيَانَ
إِذَا لَمْ يَتَّخِذْ لَهُ كِتَابًا

مَدَحْتُ الْمَالِكِينَ قَدْرْتُ قَدْرًا
فَحِينَ مَدَحْتُكَ إِقْتَدْتُ السَّحَابَا

من يستطيع أن يعد ويحصي ما أعطاه الله من الخلق جم من يستطيع أن يقف امام ذلك الجبل الشاهق والبحر الداخر من الأخلق نبي عرج به ربه إلى السموات العلى حتى وصل إلى مكان لا يصل إليه ملك مقرب أو نبي مرسل ثم نزل إلى الأرض وجلس على حصير يخلف في جسده الطاهر اثاره الضاغطة عرج به ربه إلى السماء في موكب مهيب من الملائكة ثم نزل إلى الأرض ولما رأى الناس يهابونه اجللا

وتقديرا قال لهم (هونوا عليكم إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة) الله اكبر أي خلق هذا الذي أوتيته من ربه أي كرامة تلك التي وهبها اياه خالقه....

نبي أمي علم الدنيا كيف يكون النظام والحكم والعدل :-

* يقول شوقي :-

علّمتهم كلّ شيء يجهلون به
حتّى القتال وما فيه من الذم

نعم علمت أمتك أدق تفاصيل حياتها ومعادها وكل شيء حتى جعلتها أمة لا تضاهيها أمة لو تمسكت بمنهاجك وطريقك وهنا تكمن عظمة هذا النبي الأمي الذي علم الدنيا كيف تكون البلاغة والبيان والفصيح من اللسان.. يقول شوقي في ذلك :-

يأيّها الأميُّ حسبك رتبه
في العلم أن دانت بك العلماء

يا أفصح الناطقين الضاد قاطبه
حديثك الشهد عند الذائق الفهم

حليت من عطل جيد البيان به
في كلّ منتشر في حسن منتظم

علم الدنيا كيف تكون المساواة بين البشر ليس هو الذي أوحى إليه ربه ليعلم الخلق فقال له قل لهم يا محمد (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (13) الحجرات.

نعم علم الدنيا ان البشر سواسية كأسنان المشط (لا فضل لعربيّ على عجميّ ، ولا لعجميّ على عربيّ ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض - : إلا بالتقوى ، الناس من آدم ، وآدم من تراب) والتفاضل فيما بينهم والميزان هي التقوى ولا شيء غير ذلك فلا حسب ولا نسب ولا جاه ولا سلطان (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) التقوى فقط والذين حادوا عن الجادة لم يفهموا ما جاء به أو فهموه ولم يطبقوا لغلبة هوى النفس واستعلاء على الحق بغير حق... يقول شوقي :-

فَرَسَمْتَ بَعْدَكَ لِلْعِبَادِ كُومَةً
لا سوفةَ فيها ولا أفرَاء

اللَّهُ مَوْقُ الْخَلْقِ فِيهَا وَحَدَهُ
وَالنَّاسُ تُحَتُّ لَوَائِهَا أَكْفَاء

إذا لا تصلح هذه الدنيا إلا بهدي الاسلام الذي جابه الرسول المبعوث من عند ربه رحمة للعالمين [] بدون ذلك ليس هناك امان للبشر وللدنيا كلها مهما حاولوا ومهما سنوا من سنن وقتنوا من قوانين لا تمت إلى السماء بسبب سيظل العالم تائه في دياجير الجهل حتى يعود إلى المنهج القويم يقول الشاعر محمد إقبال :-

إذا الإيمان ضاع فلا أمان
ولا دنيا لمن لم يحيي دنيا

ومن رضي الحياة بغير دين
فقد جعل الفناء لها قرينا

وفي التوحيد اللهم اتحاد
ولن تبنوا العلا متفرقينا

ألم يبعث لأمتكم نبي
يوحدكم على نهج الوئام

ومصحفكم وقبلتكم جميعاً
منار للأخوة والسلام

وفوق الكل رحمن رحيم
إله واحد رب الأنام

إبراهيم يحيى أبو ليلي